الإضطهادات في إنجيل مرقس.

الخوري ميشال صقر[1]

مقدمة

يعيش شرقُنا العزيز حروبًا يومية. ومع العلم أنّ الإرهاب لا يميّز بين دينٍ وآخر وبلدٍ وآخر، لا بدّ من تسليط الضوء على الهجرة التي ينزف بها شرقنا ويخسر من خلالها الأدمغة العلمية والعائلات المحافظة. كم من أناسٍ خُطفوا ولم يُعرف مصيرهم بعد، أكانوا مسيحيين أم مسلمين، رجال دين أم علمانيين؟ كم من بيوت هُدِّمت، وبساتين حُرقت، ودُوْر عبادة دُنِّست؟ أمام هذا الواقع الأليم المليء بالاضطهادات والمِحَن علينا بالعودة إلى الإنجيل والتحلّي بالإيمان.

إنّ إنجيل مرقس كُتب أثناء إضطهادات المسيحيين الأوائل، وكما حاكى واقعهم وأعطاهم كلمة رجاء في حينها، اليوم أيضًا، يُكمل هذا الإنجيل عمله في زرع الأمل في نفوس المؤمنين، لأنّ كلمة الله المُلهَمة تتخطّى حقيقتها الزمان والمكان، وتَعبُر بالمؤمنين، على ممر الأجيال، إلى بَرّ الأمان.

يتحدّث إنجيل مرقس أكثر من غيره من الأناجيل عن المِحَن والاضطهادات. قد يكون هذا انعكاسًا للوضع الاجتماعي الذي كانت تعيشه جماعته، لكن لا يمكننا أن ننفي الحقيقة التاريخية التي تضع على فم المسيح هذا الموضوع عدّة مرات عبر صفحاته. لذلك، في ما يلي، سنحدّد أولاً الإطار التاريخي والاجتماعي لهذا الإنجيل؛ وننتقل من بعدها إلى شرح المقاطع المرقسيّة التي تتحدّث عن هذا الموضوع مستعملين المنهجية "البراغماتيكية الألسنية"[2] التي تبحث عن تأثيرات النص على القارئ؛ وننتهي بخلاصة لاهوتية حول انعكاسات الاضطهادات والمِحَن على المسار اللاهوتي العام لإنجيل مرقس. من خلال هذه القراءة، علّنا نُلقي الضوء على الكلمة الإلهية التي تفضح واقعنا الإنساني الذي نعيشه، فتنيره وتصوّب مساره؛ عندها نتشجّع ونتقوّى فنصبر على الآلام ونجدّ السعي للحصول على انتصارٍ في شرقنا للمحبة على البغض وللسلام على المِحَن والاضطهادات.

---

[1] الكاتب هو من كهنة أبرشية جبيل المارونيّة حائز على شهادة الدكتوراه في الكتاب المقدس من الجامعة الغريغوريّة في روما. إضافة إلى عمله الرعائي، هو يدرّس العهد الجديد في الجامعات ومعاهد اللاهوت.

[2] القراءة البراغماتيكيّة للنصوص الأدبية تعود للفيلسوفَين اللغويَّين الأميريكيَّين شارل بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) وشارل مورّيس (١٩٠١-١٩٧٩). هي فرع من العلوم الاتصاليّة المكتوبة والتي تحدِّد أولاً بنية قارئ النص أي إطار النص من خلال إنتظارات قارئه ومن ثمّ تحدِّد تأثير تصميم ومضمون النص على القارئ. فالكاتب المثل يلتقي مع القارئ المثل من خلال النص، الذي بقوّته البراغماتيكيّة يجاوب عن انتظارات القارئ، كل قارئ على ممر العصور، مسائلاً تصرّفه الأدبي. في العقود الأخيرة طُبّقت هذه المنهجية على نصوص الكتاب المقدس وأعطت ثمارًا بالغة الأهمية في الحقل الكتابي. للنصوص الأدبية ممكن قراءة:
Paul RICOEUR, *Du texte à l'action*, Paris 1986 و Claudia BIANCHI, *Pragmatica del linguaggio*, Roma 2003 ،
أما بالنسبة لتطبيق هذه المنهجيّة على النصوص البيبليّة، ممكن مراجعة على سبيل المثال:
Detlev DORMEYER, *Evangelium als literarische und theologische Gattung*, Darmstadt 1989; Massimo GRILLI, *Comunità e missione: le direttive di Matteo. Indagine esegetica su Mt 9,35 – 11,1*, Peter Lang XXIII/458, Frankfurt am Main 1992; Michel SAKR, *Le sévère Sauveur. Lecture pragmatique des sept «OUAI» dans Mt 23,13-36*, Peter Lang XXIII/808, Bern 2005.

١- الإطار التاريخي والاجتماعي لإنجيل مرقس

كُتب إنجيل مرقس أثناء الأهوال والاضطهادات التي كابدها المسيحيّون من أصل وثني في روما حوالي سنة ٦٥ ب.م. وانعكس ذلك في تدوين الانجيل إذ وضع مرقس على شفاه يسوع تنبّؤات تحذّرهم من الأخطار وتدعوهم للثبات في وسط المحنة.

ما الدلائل التي تشير أنّ مرقس كتب لمسيحيّين من أصل وثني؟ يحرص مرقس أن يشرح في إنجيله لقرّائه العادات اليهودية وأعيادهم: فالجدال حول الطعام بأيدٍ غير مغسولة كان مناسبةً لشرح سنّة الشيوخ من حيث التطهير وغسيل الأواني (مر ٧: ٣-٤). وقد أضاف في بعض الأحيان الشروحات ليتسنّى للقارئ الوثني فهم المضمون، ولو كان القرّاء من أصل يهودي لما كانت حاجة لهكذا شرح ، مثلاً: "وفي أوّل يومٍ من الفطير، *وفيه يُذبح حملُ الفصح*" (مر ١٤: ١٢)؛ "ولمّا كان ذلك اليوم يومَ التهيئة، *أي الذي قبل السبت*" (مر ١٥: ٤٢). من ناحية أخرى، ترجم مرقس لقارئيه الكلمات الآرامية التي لا يفهمونها: "ولقّبهما بوانرجس *أي ابني الرعد*" (٣: ١٧)؛ "وقال لها طليتا قُوْمْ *أي يا صبيّة قومي*" (٥: ٤١)؛ "وقال له إِفَّتِحْ *أي إنفتحْ*" (٧: ٣٤). وما يزيدنا تأكيدًا أنّ قرّاءه من أصل وثني هو تخفيفه من حدّة الصراع ضد الفرّيسيين والأهمية الجانبية التي يعطيها للشريعة والأنبياء، فإذا قابلنا مثلاً مر ١٢: ٣٨-٤٠ بمتى ٢٣: ١٣-٣٦ لوجدنا أنّ متى يستفيض بشرح تعنيف يسوع للكتبة والفريسيين المرائين من خلال تفنيد مآخذه عليهم واتّهاماته المباشرة لهم بينما مرقس يذكر باختصار تحذيرًا يتيمًا أثناء تعليم يسوع في الهيكل دون تفصيل.

ما الذي يؤكّد أنّ مرقس كتب في روما؟ إنّ هذا الإنجيل يتفرّد بذكر الاسكندر وروفس، ولدَي سمعان القيرواني، في ١٥: ٢١؛ فقد ذكرَ أحدهما بولس في رسالته إلى روم ١٦: ١٣ وهو روفس المعروف في كنيسة روما. ومن قراءتنا للإنجيل يتبيّن لنا أنّ المرسل إليهم وثنيّون غربيّون، إذ إنّ إستقبالهم للضيف مختلف عن الشرقيين: ففي خطبة الإرسال عند متى ١٠: ٩-١٠ يطلب يسوع إلى تلاميذه ألاّ يأخذوا معهم عصا ولا حذاء لأنّ المنطقة تستضيف جيّدًا؛ امّا عند مر ٦: ٨-٩ فيسمح يسوع بأخذ العصا والحذاء. يُضاف إلى ذلك أنّ مرقس يستعمل كلمات لاتينية "مُيَونَنة"، أي أنّه يُدخل في نصّه اليوناني كلماي لاتينيّة بحروف يونانية، وهذا دليل على أنّ قرّاءه يفهمون هذه اللغة، مثلاً: جيش legion (٥: ٩)، قائد المئة kenturion (١٥: ٣٩)، سيّاف spekoulatôr (٦: ٢٧)؛ وقد شرح مرقس بعض الكلمات اليونانية بعبارات لاتينية: "ألقت المرأة الفقيرة نحاستين (في اليوناني) أي *ربع فلس* kodrantês (في اللاتينية)" (١٢: ٤٢).

وما هو زمان كتابة الإنجيل؟ النظريّة الأكثر شيوعًا: حوالي سنة ٦٥ ب.م. فالشرّاح يُجمِعون على أنّ مرقس كتب إنجيله بين سنة ٦٤ و٦٩، إذ لا ذِكْر في مرقس لهدم أورشليم، ذلك الحدث الأساسي في تاريخ اليهودية الذي حصل سنة ٧٠ والمذكور في متى ٢٢: ٦-٧ ولو ٢١: ٢٠-٢٤؛ إذًا نحن قبل هذه السنة، قرب استشهاد

بطرس في روما[٣]، الذي أوحى إلى مرقس إنجيله، إذ إنّ مرقس لم يسمع الرب ولم يكن من تلاميذه، وبذلك فهو لا يعرف الترتيب الصحيح لحياة وتعاليم يسوع، بل أصبح في وقت لاحق تلميذًا لبطرس وقد دعاه في رسالته: "مرقس ابني" (١بط ٥: ١٣)، وقال عنه بابياس اسقف هيرابوليس (حوالي سنة ١٣٠) ما يلي: "إنّ مرقس، ترجمان (interprète, èrméneutês) بطرس، كتب بدقّة وإن بدون ترتيب، ما تذكّره من أقوال الرب وأعماله"[٤]. ولماذا لا يمكن وضع الزمان في وقت أسبق، أي في سنوات الـ ٤٠ والـ ٥٠ مثلاً؟ لأنّنا نستشفّ من الإنجيل تنظيمًا كنسيًا، يستند على هرمية أساسها بطرس والرسل الأربعة الأوائل والإثني عشر، لم تكن واضحة المعالم في السنوات الأولى للبشارة الإنجيلية.

فالمحيط الوثني الروماني حوالي سنة ٦٥ م.، الذي كان مليئًا بالإضطهادات للمسيحيين، قد أثّر على كتابة الإنجيل. هذا لا يعني أنّ تاريخيًا يسوع لم يتفوّه بإنباءات حول الأخطار والأهوال التي سيكابدها التلاميذ، فقد قال بوضوح انّ ما من تلميذ أسمى من معلّمه، فإذا قاسى المعلّم الاضطهادات، لا مشكلة أن يكون التلميذ متمسّكًا بالصليب الممجّد مثل معلّمه. ميزة مرقس انّه شدّد أكثر من بقية الإزائيين على المحن والإضطهادات: فإنجيل لوقا لا يذكر مطلقًا لا كلمة "اضطهاد، persécution، diôgmos" ولا كلمة "محنة، tribulation، thlipsis"؛ ومتى هو في تراجع عن مرقس؛ أمّا مرقس فله استعمالٌ فريد لكلمة "اضطهاد" في نص جزاء مَن يترك كلّ شيء في سبيل يسوع (مر ١٠: ٢٨-٣١). هذا ما سنشرحه في ما يلي أثناء دراستنا للنصوص الثلاثة التي تتحدّث عن المِحن والاضطهادات عند مرقس.

٢- دراسة نص: تفسير مثل الزارع (مر ٤: ١٣-٢٠)

يفسّر يسوع في مر ٤: ١٣-٢٠ مثل الزارع (مر ٤: ١-٩). في النوع الثاني من الزرع الذي وقع في الأرض الحجرة يقول عنه إنّه يمثّل المؤمنين الذين يتعثّرون حينما تحدث "محنة أو اضطهاد" (مر ٤: ١٧). لنضع النص في إطاره أولاً، ولنحاول فهمَه في ما بعد من ناحية تأثيره على القارئ من ناحية البنية والمضمون مستخرجين قوّته البرغماتيكية التي تدعو لاتّخاذ الموقف المناسب.

١٣وقالَ لَهم: أما تَعلَمونَ هذا المَثَل؟ فكَيفَ تَعرفونَ كلَّ سائرَ الأمثال؟
١٤الزَّارِعُ يَزرَعُ الكلِمَة.

١٥فهؤلاء الذين بِجانِبِ الطَّريق حَيثُ زُرِعَتِ الكَلِمة،

[٣] يقول البعض إنّ استشهاد بطرس على تلّة الفاتيكان قد تمّ أثناء حريق روما في تموز ٦٤ م. لكنّ أغلبية الشرّاح يجزمون اليوم أنّ استشهاده حصل سنة ٦٧ م. مستندين إلى أوسابيوس القيصري والقديس هيرونيموس، رج
TRICOT, A., «Saint Pierre» *Dictionnaire de Théologie Catholique* 12/2 (1935) 1753 ; COTHENET, E., «Pierre Apôtre» *Dictionnaire de Spiritualité* 12/80-82 (1985) 1452-1486.

[٤] أوسابيوس القيصري، "الكتب الخمسة في تفسير كلمات الرب" المحفوظ في كتاب *تاريخ الكنيسة* (٣، ٣٩، ١٥).

فحين يَسمَعونَها
يأتي الشَّيطانُ لِوَقتِه ويَأخذُ الكَلِمَةِ المَزروعةِ فيهِم.

١٦وهؤلاء الذين زُرِعوا في الأرضِ الحَجِرَة،
فحين يسمعون الكَلِمَةَ يقبلونها مِن وَقتِهم فَرِحين، ١٧ولكِن لا جذْر لَهم في أنفُسِهِم، فيثبُتونَ لوقتٍ قليل.
فإذا حَدَثَت بَعدَ ذلك مِحنَةٌ أوِ اضطِهادٌ مِن أجْلِ الكَلِمة، يعثَرون لِوَقتِهم.

١٨وبَعضُهمُ الآخَرُ زُرِعوا في الشَّوك،
فهؤُلاءِ همُ الذينَ يَسمَعونَ الكَلِمة،
١٩ولكِنَّ هُمومَ العصرِ وفِتنَةَ الغِنى وسائرَ الشَّهَواتِ تُداخِلُهم، فَتَخنُقُ الكَلِمة، إذ تصبحُ بلا ثَمَر.

٢٠وأولئك الذينَ زُرِعوا في الأرضِ الطَّيِّبَة،
فهُمُ الذينَ يَسمَعونَ الكَلِمةَ ويتَقَبَّلونَها
فيُثمِرونَ الواحِدُ ثَلاثينَ والآخَرُ سِتّين وغَيرُه مِئةَ.

الإطار: يأتي مثل الزارع وشرحه أثناء بشارة يسوع في الجليل قرب بحيرة طبيرية (مر ٤: ١). فبعد موقف رفضيّ أوّل من قبل الفرّيسيين والهيرودوسيين لرسالته (مر ٣: ٦) وبعد أن علّم من جديد وشفى كثيرًا من المرضى (مر ٣: ٧-١٢)، اختار الإثني عشر ليصحبوه (مر ٣: ١٣-١٩). لهؤلاء شرح يسوع سرّ الملكوت بواسطة الأمثال، بعد أن جاءه امّه واخوته يطلبونه، إذ أردف مجاوبًا انّ أقاربه هم الذين يعملون بمشيئة الله (مر ٣: ٣٣). كأنّه يريد من خلال ذلك تعليمنا أنّ المنضوين إلى عائلته، تربطهم مفردات مستترة عن باقي الناس ومصبوغة بسرّ الصليب الذي لا يُفهم إلاّ من قِبل أفراد عائلته المؤمنين. في عتبة رسالته الخلاصية، أعلن عن اقتراب الملكوت ودعا إلى التوبة في كرازته الأساسية (مر ١: ١٥)، وها هو الآن يشرح هذا الملكوت من خلال الأمثال. هذا ما يسمّى بالإطار الجغرافي للنص البعيد والقريب. لكن، هناك إطار سرديّ، فما هو؟

نعني بالإطار السردي طريق القارئ لهذا النص وتهيئته لقراءته[٥]. فالقارئ يرى أنّ "الكلمة" – في اليوناني "logos" – هي الموضوع الأساسي في هذا النص إذ تتكرّر ثماني مرّات. فماذا عرف القارئ عن هذه "الكلمة"، وما هي انتظاراته حولها من هذا النص؟ هذا ما يُعرَف بالإطار السردي! قَبْل هذا النص نجد "الكلمة" في مكانَين عند مرقس: الأول عندما شفى يسوع الأبرص ونهاه أن يُخبر أحدًا بشيء بل أمَرَه أن يذهب إلى الكاهن، عندها يقول النص أنّ الأبرص انصرف وأخذ ينادي بأعلى صوته ويُذيع "الكلمة" (مر ١: ٤٥). وهذا يدلّ على أنّ

[٥] حول هذا الموضوع راجع "La costruzione di un nuovo modello di LETTORE" في:
FUMAGALLI, A., *Gesù crocifisso, straniero fino alla fine dei tempi. Una lettura de Mt 25,31-46 in chiave comunicativa*, EH XXIII/707, Frankfurt/Main 2000, 48-60.

الكلمة هي مصدر فرح[٦] للأبرص لذلك ينشرها حوله بكل جوارحه إذ لا يمكن أن يوضع سراجٌ تحت مكيال. والمكان الآخر عند مرقس الذي يستعمل فيه "الكلمة" هو عندما كان يسوع في كفرناحوم في داخل البيت فاجتمع حوله عددٌ كبير من الناس حتى لم يبقَ موضعٌ خاليًا حتى عند الباب، عندها يضيف مرقس: "وكان يسوع يلقي عليهم الكلمة" (مر ٢: ٢). فيسوع هو صاحب "الكلمة" وهذه الكلمة هي فعّالة لأنّها تشفي المرضى وتبرهن أنّ تعليمه هو كمن له سلطان وليس مثل كتبتهم. ينتظر إذًا القارئ من الترداد الثالث لـ "الكلمة" ان يعرف مدى وقعها في نفوس المؤمنين وكيف يسمعونها أو يحافظون عليها.

البنية: يتألّف نص مر ٤: ١٣-٢٠ من مقدّمة وأربعة مقاطع. تتصدّر أسماء الإشارة للقريب (هؤلاء الذين) المقطع الأول والثاني، واسم الإشارة للبعيد (أولئك الذين) المقطع الرابع. أما المقطع الثالث فيبدأ بإسم غير محدّد (بعضهم الآخر). هدف هذه الأسماء، أسماء الإشارة والأسماء غير المحدّدة[٧]، فصل أنواع الأرض الأربعة المختلفة عن بعضها البعض.

تتألّف المقدمة من سؤالَين بلاغيَّين تُسائل التلاميذ ومن خلالهم كل القرّاء حول إمكانية فهم المعنى الذي يصبو إليه يسوع من خلال الأمثال. أمّا في كل مقطع، فيعرض الكاتب ثلاثة أمور: نوع الأرض، المعنى الواقعي لهذا النوع من الأرض، والنتيجة في حياة المؤمنين. الواضح أنّه في المقطع الثاني (مر ٣: ١٦-١٧) الذي يتحدّث عن الشوك والاضطهاد، نجد عددًا من الكلمات أكثر بكثير من باقي المقاطع وكأنّه يُطلب من القارئ التركيز على هذا المقطع، لأنّه يحتوي على مدلولات تتخطّى هذا النص إذ تتعلّق بكامل لاهوت انجيل مرقس.

المضمون: إنّ "الكلمة" التي يتمحور حولها كل النص أصبحت تقنية في الكنيسة الأولى للدلالة على الإعلان الرسولي للإنجيل. إنّ قوّة التأثير في السامعين مُفتَرَضة. ركّز يسوع في المثل (مر ٤: ١-٩) على المجيء الأكيد للملكوت، أمّا في تفسير المثل (مر ٤: ١٣-٢٠) فشدّد مرقس على اختبار الجماعة المسيحية المنشغلة في العمل الرسولي. فشل رسالة يسوع في الصليب يقابله فشل الجماعة في التبشير[٨]. العداوة المتصاعدة من الأعداء، أكانوا مرتبطين "بالشيطان"، أو من خلال "المحن والاضطهادات" أو حتى بسبب "الغنى والشهوات" تجعل مفعول التبشير الرسولي غير مثمر. هذا التشديد على الأنواع الثلاثة للأرض يكشف الاهتمام الرعوي للمبشّرين الذين

---

[٦] هذا ما أراده قداسة البابا فرنسيس من خلال إرشاده الرسولي الأول "فرح الإنجيل، Evangelii Gaudium" الصادر في روما بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣ والذي أتى كتتويج للجمعية العامة العادية الثالثة عشرة للسينودس حول "الأنجلة الجديدة". يعتبر قداسته أنّ الإيمان يعني أن نجعل الآخرين يشاركون في فرح اللقاء مع المسيح؛ فالأنجلة والفرح هما حقيقتان غير منفصلتان في رؤيته للخدمة الرعوية.

[٧] لمعرفة أهمية أسماء الإشارة والأسماء غير المحدَّدة ودورها في السرد من الناحية اللغوية، رج:

WENHAM, J.W., *Initiation au grec du Nouveau Testament. Grammaire, exercices, vocabulaire*, Les Classiques Bibliques, Paris 1994, 64-68.

[٨] « Si tratta di una parabola cristologica, anche se poi la successiva comunità dei discepoli vi leggerà la propria storia. … Nell'esperienza del fallimento che ha caratterizzato il ministero di Gesù, la comunità vede rispecchiata l'esperienza del proprio fallimento », MAGGIONI, B., *Le parabole evangeliche*, Vita e Pensiero, Milano 2003, 24-25.

اختبروا إعراض بعض المستمعين عن السير في الديانة الجديدة. أمّا في ما يختصّ بهؤلاء الذين بسبب المحنة والاضطهادات يعثرون، في المقطع الثاني (مر ٣: ١٦-١٧)، فهذا ليس إلاّ تلميحًا عن عدم الأمانة للإيمان وعدم الصمود في وجه الأخطار، ممّا أدّى ببعض المؤمنين في الكنيسة الأولى للوصول إلى مرحلة الجحود[٩] والكفر بسبب الخوف. إنّ الأمثال، بشكل عام، يتحدّثون عن سرّ الصليب[١٠]: بما أنّها تتحدّث من خلال صور طبيعية عن العالم الإلهي، تؤدّي في نهاية الأمر إلى نوعٍ من التناقض. عندما لا تنجح "ظاهريًا" مهمّة الأنبياء والمرسَلين المسيحيين، عندها ترتسم ملامح الخلاص من خلال توبة الخاطئين المُفترضة وغفران الله المُحتمَل؛ هذا ما حصل مع المسيح الذي عانى الاضطهاد والموت، ولأنّ حبّة الحنطة ماتت أعطت ثمرًا كثيرًا (يو ١٢: ٢٤). وهذه هي القوّة البراغماتيكية التي يطرحها النص لكل مؤمن: إذا اشتدّت الاضطهادات والمحن، عليه ألاّ يخاف لأن الانتصار في النهاية هو للمسيح وللحاملين صليبه.

الخلاصة: تتخذ الاضطهادات في مرقس صورة الشوك، الذي قد يخنق الكلمة المفعمة بالحياة، تلك التي زُرعت في قلوب المؤمنين أثناء بشارة المسيح والكرازة الرسولية. النظر إلى يسوع المُضطَهَد والحامل صليبه يؤجّج الرجاء بالانتصار الأكيد، وذلك من خلال الثبات في الإيمان.

٣- دراسة نص: جزاء مَن يترك كل شيء في سبيل يسوع (مر ١٠: ٢٨-٣١)

نجد كلمة "اضطهاد، persécution، diôgmos" للمرّة الثانية والأخيرة في إنجيل مرقس في ١٠: ٣٠ في إطار تحدُّث يسوع عن جزاء مَن يترك كل شيء في سبيله. في المقابل المتّاوي واللوقاوي لا نجد هذه الكلمة، إذ يكتفيان بجعل المكافأة في هذه الحياة أضعافًا من الأمور الإيجابية دون السلبية.

[٢٨] وأَخَذَ بُطرُسُ يقولُ له: ها نَحنُ قد تَرَكْنا كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ.
[٢٩] فصرّحَ يسوع: الحَقَّ أقولُ لَكم:
ما مِن أحَدٍ **تَرَكَ** بَيتًا أو إخوَةً أو أَخَواتٍ أو أُمًّا أو *أَبًا* أو بَنينَ أو حُقولاً مِن أجْلي وأجْلِ الإنجيل،
[٣٠] إلاّ **نالَ** الآنَ مائةَ ضِعْفٍ في هذا الزمان مِنَ البُيوتِ والإخوَةِ والأخَواتِ والأُمَّهاتِ والبَنينَ والحُقولِ مع الاضطِهادات،
و **نالَ** في الدهر الآتي حَياةً أبَدِيَّة.
[٣١] وكثيرٌ مِنَ الأوَّلينَ سيَصيرونَ آخِرين، والآخِرونَ أوَّلين

[٩] إنّ خطيئة الجحود واجهها تعليم العهد الجديد من خلال عدّة تعابير مستعملاً مثلاً "الخطيئة ضد الروح القدس" (مت ١٢: ٣٢) التي لا تُغتفَر، و"الخطيئة التي تؤدّي إلى الموت" (١يو ٥: ١٦) والتي لا تنفع الصلاة من أجل مرتكبيها. لذلك اعتُبر في المسيحية الأولى "الجحود" ترْك المسيحية العلني والانخراط في إحدى الهرطقات. رج:
GROSSI, V., « Apostasie, Apostats » in *Dictionnaire Encyclopédique du Christianisme Ancien*, Cerf, Paris 1990, 193.

[١٠] رج: BENOIT XVI, *Jésus de Nazareth. Du baptême dans le Jourdain à la Transfiguration*, Vatican 2007, 214-215.

الإطار: يأتي هذا النص بإطار سؤال الشاب الغني واتّباع المسيح على درب الصليب (مر ١٠: ١٧-٣١) فهذا المقطع المؤلَّف من ١٥ آية يشكّل وحدة أدبية إذ يحيط بها تحركّان ليسوع: في الآية ١٧ يُذكر انّ يسوع كان خارجًا من البيت وفي مر ١٠: ٣٢ يُذكر أنّه كان سائرًا في الطريق وصاعدًا إلى أورشليم. إنّ المقطع (مر ١٠: ١٧-٣١) يحدث في مكانٍ واحد محدّد من خلال إحاطة أدبية (أو تضمين) من خلال تكرار عبارة "الحياة الأبدية" الموجودة في مرقس فقط في ١٠: ١٧ و٣٠.

يتألف هذا المقطع الكبير (مر ١٠: ١٧-٣١) من ثلاثة نصوص: سؤال الشاب الغني (مر ١٠: ١٧-٢٢)، خَلاص الأغنياء (مر ١٠: ٢٣-٢٧) وجزاء مَن يترك كل شيء في سبيل يسوع (مر ١٠: ٢٨-٣١). هذا النص الأخير يتألّف من سؤال من بطرس وجواب من يسوع.

ما هي انتظارات القارئ من هذا النص (مر ١٠: ٢٨-٣١)؟ عرف القارئ المرقسيّ، في الإطار القريب للنص، أنّ الأطفال ضمَّهم يسوع إلى صدره بدون أن يقولوا أو أن يفعلوا شيئًا (٩: ٣٦-٣٧؛ ١٠: ١٣-١٦). إنّ الخصوصية الأساسية للطفل تكمن في أنّه يترك للآخرين قرار حياته وزِمام أموره: الإتّكال على الآخرين هو ما يعيشونه[١١]. وعندما طلب يسوع من الشاب الغني هذا الأمر، أن يبيع ما يملك ويتبع يسوع، انصرف حزينًا (١٠: ٢١-٢٢). وبعد تساؤلات كثيرة من قبل الرسل (١٠: ٢٣-٢٧)، يأتي سؤال بطرس كردّة فعل على تصرّف الغني، ويوضح باسم التلاميذ أنّهم تركوا كلّ شيء واتّكلوا على يسوع، فما هو مصيرهم؟ ينتظر القارئ إذًا توضيحًا من يسوع حول جزاء مَن يترك كل شيء في سبيله.

البنية: يتألّف النص (مر ١٠: ٢٨-٣١) من سؤال واضح من بطرس وجواب من يسوع. هذا الجواب يُقسَم إلى ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول (١٠: ٢٩) يستعيد يسوع كلمات بطرس حول موضوع "التَرْك" أو التخلّي، ويقرن نفسه بالانجيل "من اجلي ومن اجل الإنجيل"، لأنّ يسوع، بالنسبة لمرقس، هو الإنجيل، البشرى السارة، وقد اعتبرت الكنيسة الأولى المسيح "إنجيلاً".

- في الجزء الثاني (١٠: ٣٠) يميّز يسوع بين زمنَين: الحاضر والمستقبل مستعملاً مرتين الفعل "نال" الذي يأتي كجواب لنقيضه "ترك" من الجزء الأول. ويلحظ القارئ أنّ يسوع يستعيد في "الزمن الحاضر" كلمات الجزء الأول ويضيف عليها كلمة "الاضطهادات" مشكّلة وحدة مع باقي المكافأت.

---

[١١] رج:

MARTINEZ, E.R., *La sequela di Gesù Cristo nel vangelo secondo Marco, ad uso privato degli studenti*, Pontificio Istituto Biblico, Roma 2000, 57-58; STOCK, K., *Il cammino di Gesù verso Gerusalemme. Marco 8,27 – 10,52, ad uso degli studenti,* Pontificio Istituto Biblico, Roma 2008, 148-154.

– الجزء الثالث (١٠: ٣١) يتحدث عن المستقبل مستعملاً فعلاً بصيغة المستقبل "سيصيرون" معلنًا بذلك قلب مقاييس هذا العالم.

المضمون: إنّ الإشكالية الأساسية التي سنجاوب الآن عليها هي: ما هي المكافأة في سبيل التخلّي عن كل شيء من أجل المسيح؟ ولماذا يضيف مرقس وحده من بين الأناجيل الأخرى كلمة "إضطهادات" كمكافأة في الزمن الحاضر؟

المُلاحَظ من جواب يسوع أنّه لا يتكلّم فقط عن التلاميذ وحدهم بل يعمّم بجوابه ويتحدّث عن كل الذين سيتصرّفون مثلهم. إنّ التخلّي يكون عن أفراد العائلة وعن الممتلكات المادية، تمامًا كما حصل في دعوة التلاميذ الأوّلين (مر ١: ١٨ و٢٠). وإذا ميّز يسوع بين زمنَين الحاضر والمستقبل هذا لكي ينوّه أنّ المكافأة لا تكون فقط بعد الموت: إنّ ثمار اتّباع المسيح تظهر من خلال هذه الحياة الأرضية. في الزمن الحاضر، الذين يتبعون المسيح يأخذون مئة ضعف أخوة حولهم ومادّيات تكفيهم لإعلان الإنجيل. هذه هي خبرة "المدعوّين" على ممر العصور[١٢]. يُعوَّض عن الابتعاد عن العائلة والممتلكات بالتضامن والمشاركة السخيّة من قبل المؤمنين بعضهم مع بعض. هذا ما يشهد له كتاب أعمال الرسل (رسل ٢: ٤٤–٤٥؛ ٤: ٣٢–٣٧). عندما يتخلّى التلميذ عن العائلة الطبيعية يحصل على عائلة أوسع ومتماسكة أكثر من خلال رباط المحبة الحقيقية التي تسمع كلمة الله وتعمل بمشيئته (مر ٣: ٣٤–٣٥).

لكنّ المشهد ليس صافيًا ومفرحًا تمامًا[١٣]: مع التعويض مئة ضعف يزيد مرقس "الإضطهادات" التي كان يعاني منها في زمن تدوينه للإنجيل كثيرٌ من رفاق الدرب المسيحيين. فقط في الزمن الآتي نحصل على المكافأة التي لا يشوبها حزنٌ أو بكاء، وعلى الفرح النهائي في حياة أبدية. وبهذا يُفهِم الإنجيلي قرّاءه أنّ الجماعة التي تستقبل المؤمن لا يمكن أن تتحوّل إلى مكان منعزل وآمن يتقوقع فيه، إنما عليها أن تكون نقطة إنطلاق للذهاب إلى العالم وإعلان إنجيل الخلاص، مع كل ما يمكن أن يرافق ذلك من محن واضطهادات، نفسية إجتماعية وسياسية.

الخلاصة: يوسّع مرقس آفاق المؤمن إذ يعد بفرح نهائي في حياة أبدية بعد أن يصبح الأوّلون آخرين والآخرون أوّلين. ما يمكن أن يقاسيه المسيحي في عيشه لشهادة الإيمان من محن وآلام لا توازي ما ينتظره من فرح ومجد (روم ٨: ١٨). عليه ألاّ يتعلّق بالعطية أكثر من العاطي: إذا اكتفى المؤمن بعطايا هذا الدهر الفانية لا يمكنه ان يتخلّى عنها ليربح المسيح. لذلك نرى أنّ المحنة والاضطهاد، حتى لو كانا، خارجيًا، غير مرغوب

---

[١٢] بالنسبة لموضوع الدعوة في الكتاب المقدس وفي عالم اليوم ممكن مراجعة: الياس بولس، *المودعوّون في الكتاب المقدّس، تأمّلات روحية للطلاب الإكليريكيّين*، بيروت ١٩٧١؛ يوحنا بولس الثاني، *دعوتي. عطية وسرّ*، نقله إلى العربية المطران فرنسيس البيسري، منشورات المركز الكاثوليكي للتعليم المسيحي في لبنان، بيروت ١٩٩٧.

[١٣] رج: POPPI, A., *I quattro vangeli. Commento sinottico*, Vol 2, Padova 1997, 320–321.

فيهما، فهما يمتحنان كالنار قيمة حياة وعمل كل واحد (١قور ٣: ١٣). وبذلك يشجّع مرقس قرّاءه على الثبات في الإيمان وعدم التزعزع في المعتقدات المسيحية.

٤- دراسة نص: الاضطهادات والمِحَن في نهاية الأزمنة (مر ١٣: ٥-٢٣)

في الخطبة الإسكاتولوجية عند مرقس نجد كلمة "محنة، tribulation، thlipsis" مرّتين (مر ١٣: ١٩ و٢٤) وتغيب كلمة "اضطهاد، persécution، diôgmos". في المقابل المتّاوي نجد كلمة "محنة" ثلاث مرّات (متى ٢٤: ٩ و٢١ و٢٩). يتحدث النص الذي نعرضه في ما يلي عن حروب وزلازل ومجاعات ومرافعات في المحاكم وجَلْد وبُغْض وكَذب. كل هذه الكلمات تُلخَّص بكلمة "محنة" لم يحدث مثلها منذ بدء الخليقة (مر ١٣: ١٩) والمعروف أنّها ترافق نهاية الأزمنة وتعلن عن مجيء ابن الانسان الذي سيحقق الخلاص الشامل.

٥ فأخَذَ يسوعُ يَقولُ لَهم:
إيَّاكُم أن يُضِلَّكم أحَد. ٦ فسَوفَ يَأتي كثيرٌ مِنَ النَّاسِ مُنتَحِلينَ اسمي فيَقولون: أنا هو! ويُضِلُّونَ أُناسًا كثيرين.

٧ **فإذا سَمِعتُم** بِالحُروبِ وبإشاعاتٍ عَنِ الحُروب فَلا تَفزَعوا، فإنَّه لابُدَّ من حُدوثِها، ولكِن لا تكونُ النَّهايةُ عِندَئِذٍ. ٨ فستَقومُ أُمَّةٌ على أُمَّة ومَملَكَةٌ على مَملَكة، وتَحدُثُ زَلازِلُ في أماكِنَ كَثيرة، وتَحدُثُ مَجاعات، وهذا بَدْءُ المَخاض. ٩ فخُذوا حِذْرَكم. سَتُسلَمونَ إلى المَجالِسِ والمَجامِع، وتُجلَدون، وتَمثُلونَ أمامَ الحُكّامِ والمُلوكِ مِن أجْلي شَهادةً لدَيْهِم. ١٠ ويَجِبُ قَبلَ ذلك أن تُعلَنَ البِشارَةُ إلى جَميعِ الأُمَم. ١١ فَإذا ساقوكُم لِيُسلِموكم، فلا تَهتَمُّوا مِن قَبلُ بِماذا تَتَكَلَّمون، بل تَكَلَّموا بِما يُلقى إلَيكُم في تلك السَّاعة، لأنَّكم لَستُم أنتُمُ المُتَكَلِّمين، بلِ الرُّوحُ القُدُس. ١٢ سَيُسلِمُ الأخُ أخاهُ إلى المَوت، والأبُ ابنَه، ويَثورُ الأبناءُ عَلى والِدِيهِم ويُميتونَهم، ١٣ ويُبغِضُكم جَميعُ النَّاسِ مِن أجلِ اسمي. والذي يَثبُتُ إلى النِّهاية، فَذاكَ الذي يَخلُص.

١٤ **وإذا رَأيتُمُ** المُخَرِّبَ الشَّنيعَ قائمًا حيثُ لا يَنبَغي أن يَكون، (لِيَفهَمِ القارئ) فمَن كانَ يَومَئِذٍ في اليَهودِيَّة فَلْيَهرُبْ إلى الجِبال. ١٥ ومَن كانَ على السَّطْح، فلا يَنزِلْ ولا يَدْخُلْ بَيتَه لِيأخُذَ مِنْه شَيئًا. ١٦ ومَن كانَ في الحَقل، فَلا يَرتَدَّ إلى الوراءِ لِيأخُذَ رِداءَه. ١٧ الوَيلُ لِلحَوامِلِ والمُرضِعاتِ في تِلكَ الأيّام. ١٨ صَلُّوا لِئَلاَّ يَحدُثَ ذلِكَ في الشِّتاء. ١٩ فسَتَكونُ تِلكَ الأيَّامُ **((مِحْنَةً))** لم يَحدُثْ مِثلُها مُنذُ بَدءِ الخَليقَةِ التي خَلَقَها اللهُ إلى اليَوم ولَن يحدُث. ٢٠ ولَو لم يُقَصِّرِ الرَّبُّ تِلكَ الأيَّام، لَما نَجا أحَدٌ مِنَ البَشَر. ولكِن مِن أجلِ المُختارينَ الذينَ اختارَهم قَصَّرَ تِلك الأيَّام.

٢١ وعِندَئِذٍ إذا قالَ لَكم أحَدٌ مِنَ النَّاس: ها هُوَذا المَسيحُ هُنا، ها هُوَذا هُناك، فلا تُصَدِّقوه. ٢٢ فسَيَظهَرُ مُسَحاءُ دَجَّالونَ وأنبِياءُ كَذَّابونَ يَأتونَ بِآياتٍ وأعاجيب، لِيُضِلُّوا المُختارينَ لو أمكَنَ الأمر. ٢٣ أمَّا أنتُم فَاحذَروا، فقد أنبَأتُكم بِكُلِّ شَيء.

الإطار: يأتي هذا النص في سياق بشارة يسوع في أورشليم (مر ١١ – ١٣). فقد دخل هذه المدينة من عند "جبل الزيتون" بالهوشعنا والترنيم (مر ١١: ١) وها هو يغادر الهيكل ويجلس قبالته في "جبل الزيتون" (١٣: ٣) متحدّثًا عن نهاية العالم، ملقيًا الخطبة الإسكاتولوجية. رسالة يسوع هذه في أورشليم دامت، في إنجيل مرقس،

ثلاثة أيام، مُلَمَّحٌ عليها من خلال المساءَين (١١: ١١ و١٩) والصباحَين (١١: ١٢ و٢٠)[١٤]. يقول مرقس إنّ يسوع كان كلّ يوم يدخل الهيكل، الذي كان محور عمله الرسولي، ويخرج منه. ويلحظ القارئ أنّ الخروج الثالث والأخير (١٣: ١) هو مميّز عن غيره إذ يرمز إلى قطيعة نهائية مع هذا المكان ومع كل تقاليده. وهذا ما عبّر عنه يسوع إذ نجد في الإطار القريب للنص: "لن يُترك هنا حجرٌ على حجر" (١٣: ٢). حاول التلاميذ[١٥] الاستفسار عن "زمان" حدوث هذا الأمر وعلامته، لكنّ يسوع حوّل مجرى السؤال، فجاوب عن "كيفية" الاستعداد ليس فقط لدمار الهيكل بل خاصة لمجيء ابن الانسان، من خلال السهر الإسكاتولوجي.

البنية: يتألّف نص مر ١٣: ٥-٢٣ من أربعة مقاطع[١٦]. يتقابل المقطعان الأول (مر ١٣: ٥-٦) والأخير (١٣: ٢١-٢٣) إذ نجد فيهما موضوع التحذير من "الضلال" وموضوع المسيح الدجّال الذي ينتحل اسم الرب. أمّا في النص الوسطي فنجد أيضًا مقطعَين يبدأان بعبارتَين متوازيتَين: "إذا سمعتم" لمقطع ١٣: ٧-١٣ و"إذا رأيتم" لمقطع ١٣: ١٤-٢٠.

المضمون: يبدأ يسوع خطابه بتصويب سؤال التلاميذ. فبدل أن يندهش مثلهم لجمال أبنية الهيكل، ها هو يحذّرهم من الضلال الذي يمكن أن يقعوا فيه بسبب المنتحلين اسم الرب. ثم يذكر لائحة من مصائب (١٣: ٧-٨) تتفق مع الصبغة الرؤيويّة التقليدية. بالرغم من طابعها المخيف، هذه اللائحة لا يجب أن تُزعزِع التلاميذ لأن لا قيمة زمنية لها ولا حتى قيمة دينية[١٧]. وعلى العكس إنّها تحمل في طيّاتها علامة أمل: إنّ كلمة "مخاض" (١٣: ٨) توحي أنّ هذه الأهوال تسبق ولادة أمر جميل!

في قلب هذا القِسم، يحذّر يسوع تلاميذه من خطر محدّد وهو الاضطهاد (١٣: ٩-١٣) عبّرَ عنه مستخدمًا الكلمات التالية: حروب، زلازل، مجاعات، سَوق إلى محاكم دينية-يهودية ومدنية-وثنية، جَلْد، بُغْض وكَذب. سببُ هذا الاضطهاد هو تعلّقهم بالمسيح وببشارته. فكما حدث مع يسوع أثناء حياته سيحدث مع الرسل: مقابل

---

[١٤] في إنجيل متى دامت رسالة يسوع في أورشليم يومين (متى ٢١: ١٧-١٨). يقول المفسّرون إنّ لكل يوم من الأيام الثلاثة في أورشليم عند مرقس موضوعًا خاصًا: في اليوم الأول (١١: ١-١١) يعلن يسوع هوّيته كلملك مسيحانيّ؛ في اليوم الثاني (١١: ١٢-١٩) يستعمل رموزًا نبويّة ليدلّ على رسالته كقاضٍ ومؤنذر لشعب اسرائيل؛ وفي اليوم الثالث (١١: ٢٠ – ١٣: ٣٧) يوسّع شارحًا المواضيع السابقة. رج:

STOCK, K., *L'attività di Gesù a Gerusalemme. Mc 11 – 12, ad uso degli studenti,* Pontificio Istituto Biblico, Roma 2008, 129-131.

[١٥] تجدر الإشارة أنّ خطبة النهايات في مرقس هي موجَّهة إلى التلاميذ الأربعة الأساسيين، بطرس يوحنا يعقوب واندراوس (١٣: ٣)، خلافًا لإنجيل متى الذي يجعلها أمام التلاميذ الإثني عشر (متى ٢٤: ٣)، وقد أراد مرقس بذلك أن يعطي أهميّة للتراتبيّة الكنسيّة التي قد يكون بطرس هو الذي أملاها عليه.

[١٦] نجد هذه البنية التي نقترحها عند Standaert في شرحه لإنجيل مرقس وهذا موجود في:

. POPPI, A., *I Quattro Vangeli. Commento sinottico*, vol 2, Padova 1997, 335

[١٧] هذا ما قاله المفسّرون حول الخطبة الرؤيوية، وعلى سبيل المثال:

FOCANT, C., "Evangile selon Marc" dans C. FOCANT – D. MARGUERAT, ed., *Le Nouveau Testament Commenté*, Bayard, Genève 2012, 221-224.

اعلان كلمة الإنجيل سوف يلاقون الاضطهاد من الجميع. لذلك حوّل يسوع رغبة التلاميذ بمعرفة "زمان" النهاية إلى فرْض واجب التبشير الذي يسبق النهاية (١٣: ١٠). إنّ المدافعة عنهم هي من عمل الروح القدس الذي حلّ على يسوع وجعله ينتصر في البرّية على الشيطان (مر ١: ١٠-١٣). الانقسام يطال أيضًا التلاميذ في داخل عائلاتهم. هناك مَن يقبل البشارة ويسير ضمن شروطها، وهناك مَن يرفضها ويرفض الذين يتبعونها. وحتى، لمَن يعيش هكذا ألم ضمن العائلة، يعِد يسوع بالخلاص إذا صبر إلى المنتهى (١٣: ١٣).

بعد ذلك، يأتي حدثٌ عجيب وغامض وهو قيام المخرّب الشنيع "حيث لا يجب أن يكون" (١٣: ١٤)، وسيكون إشارةً للهروب والتخلّي عن الأعمال المعتادة (١٣: ١٤-٢٠). هذه العلامة تحملُ في طيّاتها نبوءة خراب الهيكل لأنّ دماره يشكّل انقلابًا كبيرًا للموازين بالرغم من أنّه لن يكون الحدث النهائي. وكما حصل مع لوط أثناء دمار سدوم (تك ١٩: ١٧)، يُنصَح الجميع بالهروب إلى الجبال دون الالتفات إلى الوراء. لحسن الحظ، ستُقصَّر أيام هذه المحنة الشديدة الوحيدة من نوعها في تاريخ البشرية بسبب المختارين أي تلاميذ ابن الانسان. لا يمكن أن نعرف عن أي "محنة شديدة" يتحدّث النص لأنها تطال البشرية جمعاء، فلا يُمكن أن تُقتصر على الحرب اليهودية الرومانية. إنّها "محنة شديدة" تطال كل العصور والأزمنة.

إنّ العمل التبشيري للكنيسة الأولى كان محفوفًا، من قِبل الأعداء، بالمخاطر والكره وعدم الفهم والمعارضة. ليست الكنيسة الاولى التي عانت فقط من هكذا مخاطر، فعلى ممر العصور حدَثَ ذلك، وهذه هي خصوصية أساسية من الحقبة الاسكاتولوجية التي تعيشها الكنيسة. استشهاد اسطفانوس، اضطهادات نيرون، الوضع الاجتماعي والسياسي المتقلّب والمُقلق للامبراطورية الرومانية، والاندلاع للحرب اليهودية، كلُّها علامات الأزمنة الأخيرة للجماعة المسيحية، التي تُشركها بآلام ومصير يسوع المسيح. وهذا ليس بعيدًا عمّا نعيشه اليوم في عالمنا حسب ما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني: "إنّ آمال البشر وأفراحهم، أحزانهم وضيقاتهم، في زمننا هذا، لا سيما الفقراء منهم والمعذّبين جميعًا، لهي أفراح تلاميذ المسيح وآمالهم، هي أحزانهم وضيقاتهم"[١٨].

الخلاصة: ليست المحنة التي يتحدّث عنها النص الإنجيلي (مر ١٣: ٥-٢٣) متعلّقة بزمن محدّد أو حقبة تاريخية واحدة. منذ ألفَي سنة والمسيحيّون يواجهون مصاعب متعلّقة بإنجيل المسيح. وأنواع الاضطهادات تغيّرت عبر الزمن؛ تبقى العبرة: "ما من تلميذٍ أسمى من معلّمه". طاولَ الاضطهاد المسيح وتلاميذه، فليس من المستغرب أن تعيش الكنيسة واجبها الرسولي متمسّكة بالصليب الممجّد.

[١٨] المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور راعوي حول الكنيسة في عالم اليوم، فرح ورجاء، روما ١٩٦٥، ١. وبالنسبة للكنيسة في حوارها مع عالم اليوم رج: GMÜR, F., "Relazioni e dialogo": sfide per la chiesa oggi" in M. GRILLI – J. MALEPARAMPIL (eds), *Il diverso e lo straniero nella Bibbia ebraico-cristiana*, Bologna 2013, 388-394.

٥- انعكاسات موضوع الاضطهاد على اللاهوت المرقسيّ

موضوع الاضطهاد في إنجيل مرقس له انعكاساته المهمّة على اللاهوت العام لهذا الانجيل. فليس هذا الموضوع عاديًّا أو استطراديًا في مرقس، لقد ترك بصماته غبر صفحاته كلها. لا نجد المحن والاضطهادات فقط في النصوص التي عالجناها أعلاه من هذا الانجيل، إنما انعكس عمليًا هذا الموضوع الرئيسي على كل لاهوته، ممّا جعل قرّاء مرقس يجدون على كل صفحة من صفحاته أقلّه فكرة من الأفكار الثلاثة التالية[١٩].

٣. ١- إنجيل ملكوت الله.

ترد كلمة "انجيل" في اليونانية "اونجليون، euaggelion" ٨ مرّات عند مرقس مقابل ٤ عند متى وصفر عند لوقا (مر ١: ١ و١٤ و١٥؛ ٨: ٣٥؛ ١٠: ٢٩؛ ١٣: ١٠؛ ١٤: ٩؛ ١٦: ١٥). فأراد مرقس من كتابه أن يكون انجيلاً لقرّائه. في النصّين الثاني والثالث اللذين شرحناهما أعلاه، نتبيّن انّ كلمة "إنجيل" ترد مرتبطةً بالاضطهادات والمحن (مر ١٠: ٢٩ و١٣: ١٠)؛ وفي النص الأول ترتبط الاضطهادات بـ"الكلمة". في مرقس مضمون الإنجيل الأساسي هو "ملكوت الله". وبما أنّه كُتب إلى العالم المسيحي من أصل وثني، جُعل موضوعه الرئيسي يسوع كـ"ملك" وحيد لكل الشعوب، وكسيّد للعالم. ليس المقصود مملكة دنيويّة إنما مُلك الله بطريقة ديناميكية على العالم بأسره: مُلك المحبة والسلام. أراد يسوع إعلان هذا المُلك وتأسيسه. العائق الأول لتحقيق هذا الملكوت هو الخطيئة؛ لذلك، منذ يوحنا المعمدان كانت الدعوة إلى "التوبة لغفران الخطايا" (١: ٤). في انجيل مرقس: الإنجيل، وملكوت الله، ويسوع، هي ثلاث حقائق قد تكون أيضًا مرادفة لبعضها البعض. لذلك يضع زمنُ الخلاص حدًّا لسلطان الشيطان بواسطة غفران الخطايا والـ"exorcisme" أي التحرير من المس الشيطاني. نجد في مرقس أنّ أول شفاء كان تحريرًا من شيطان (١: ٢٥)، ويتلي ذلك مرّات عدّة، ينتصر فيها يسوع على الشرير وذلك كمقدّمة لانتصاره النهيوي عليه. كذلك المؤمنون، بإعلانهم للإنجيل وعيشهم له سيتغلّبون على المِحن والأخطار وسيُساهمون في إحلال مُلك الله على القلوب.

٣. ٢- السرّ المسيحانيّ.

يقرّ الباحثون اليوم أنّ انجيل مرقس يشدّد على السر المسيحاني[٢٠]. هذا يعني أنّ مرقس يحرص، في القسم الاول من الانجيل، على كتمان مسيحانية يسوع، ولكنّه قد أعلنها في القسم الثاني، بعد اعلان بطرس لإيمانه، في صلة وثيقة بآلامه وموته وقيامته خاصة على الصليب من قبل قائد المئة (مر ١٥: ٣٩). فالواضح أنّ مرقس يستفيض في الاخبار عن عجائب يسوع، إذ يَروي ١٤ آية، وتستغرق روايتها نحو ثلث الانجيل. لكنّ يسوع كان

[١٩] في ما يلي راجع الفغالي، بولس – الخوري، نعمة الله – فخري، يوسف، *إزائية الأناجيل الأربعة*، الرابطة الكتابية، بيروت ١٩٩٦، ٦٢٨-٦٣٠، وأيضًا:
DEISS, L., *Synopse des Evangiles, Matthieu Marc Luc Jean*, Paris 1991, 326-336 ; LENTZEN-DEISS, F., *Comentario al Evangelio de Marcos. Modelo de nueva evangelización*, Evangelio e Cultura 1, Verbo Divino, Navarra 1998, 22-23.

[٢٠] أول مَن تحدث عن هذه النظرية كان "W. WREDE, *Das Messiasgeheimnis in den Evangelien*, Göttingen 1901" وهو بروتستانتي؛ قال ان السرّ المسيحانيّ هو اختراع من الكنيسة!

يحذّر من نشر أخبارها ويوصي بحفظ السرّ فيها. عندما كان يتعلّق الأمر بإعلان هويته كان يفرض يسوع السرّ المسيحاني. وقد فرضه على التلاميذ (٨: ٣٠؛ ٩: ٩)، على الذين حصلوا على شفاء (١: ٤٤؛ ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٦)، على الشياطين (١: ٣٤؛ ٣: ١٢) وعلى شهود آخرين. وفي بعض المرّات أتى السر المسيحاني مُصطنَعًا ومُفتعلاً وغير منطقيّ: فكيف يمكن عدم إخبار أحدٍ بالأمر عندما يتعلّق باحياء ابنة يائيرس بعد موتها وتجمّع الحشود (٥: ٤٣)؟ أو كيف لأطرش أخرس وقد شفي بعد أن أتت به الجموع إلى يسوع ألاّ يخبر أحدًا (٧: ٣٦)؟ أو كيف لأعمى بيت صيدا أن يعود إلى بيته مبصرًا دون ان يدخل القرية مخافة أن يراه أحد (٨: ٢٦)؟ وهنا السؤال: لمَ هذا السر المسيحاني في إنجيل مرقس؟

معظم شرّاح اليوم يرون أن السر المسيحاني لم يكن اختراعًا من الكنيسة إنما له دلالته التاريخية. فالتشديد على السر كان تحاشيًا **لمسيحانية سياسية** راسخة في أذهان معاصري يسوع، تقتضي منه (أي من المسيح) تحرير الشعب من الحكم والاحتلال الروماني؛ فلكي لا يُبلى بهكذا تهمة فرض هذا السرّ. وأيضًا، فرض السرّ بسبب نظرة مسيحانية خاطئة عند الكتبة وخاصة عند اليهود الغيارى/الغلاة الذين كانوا ينتظرون **مسيحًا محبًّا للحرب والقتال**. وقد أصلح يسوع هذا النوع من المسيحانية بتقديمه ذاته كعبد الله الخادم والمتألّم والمصلوب والمتمم للنبوءات والذي يتناقض مع انتظاراتهم. وسببٌ آخر يقول إنّ هذا السرّ فُرِضَ بسبب نظرة مسيحانية خاطئة عند الرؤيويين في ذلك الزمن، هؤلاء الذين كانوا ينتظرون **مسيحًا خارقًا** غريبًا، ناسفًا العالم الروماني، وواضعًا إيّاهم خارج ملكوت الله، خارج فلسطين.

أمّا نحن فنجد أنّ السبب الأساسي لهكذا ظاهرة في الانجيل يعود **لتاريخية الأحداث:** قد يكون مرقس شرح البدايات الخجولة للمسيحية في وسط اسرائيل ناسبًا ذلك إلى يسوع نفسه في فرض السرّ. بما أنّ كرازة يسوع لم تكن لامعة وناجحة في محيطه، لا بل غير معروفة، هذا لأنّ يسوع أخفى أصله الإلهي بين اليهود، وبما أنّ الكرازة الرسولية كانت أيضًا محفوفة بالأخطار إذ انّ الكنيسة لم تكن، هي أيضًا، ناجحة لا بين اليهود ولا بين الوثنيين، خاصة بعد حريق روما وكل الاضطهادات التي عانتها، كان لا بدّ من انجيل يبثّ فكرة "لا تخبروا أحدًا"، وبإنجيل ينتهي بالقول انّ "النساء كنّ خائفات ولم يقلن لأحد شيئًا" (١٦: ٨). وبذلك يكون موضوع الاضطهادات والمحن في مرقس هو السبب الأساسي للسرّ المسيحاني.

٣. ٣- تلاميذ دون ذكاء ودون فهم: لاهوت النعمة لفهم الصليب.

يختلف التلاميذ في مرقس عن الجموع وعن الذين في الخارج (٤: ١١). فلهم أُعطي شرح معنى سر ملكوت الله أما سائر الناس فكلّ شيء يُلقى إليهم بالأمثال. هؤلاء الإثنا عشر سيلقون تعاليم خاصة بدءًا من نهاية المجادلات الخمس الجليلية (٣: ١٣-١٤).

الرسل في متى يُظهرون فهمًا أكثر من تلاميذ مرقس ولقبهم ليس عديمي الإيمان إنما oligopistoi قليلي الإيمان (متى ٦: ٣٠؛ ٨: ٢٦؛ ١٤: ٣١؛ ١٦: ٨؛ ١٧: ٢٠). يُظهر متى التلاميذ منفتحين على تعليم يسوع ومشكّلين عائلته الحقيقيّة لأنهم يعملون إرادة الآب (مت ١٢: ٥٠)؛ في عيونهم يبصرون وفي آذانهم يسمعون

وفي قلوبهم يفهمون (مت ١٣: ١٦ و٥١). أما عند مرقس فلهم صفة عدم الفهم ouk suniemi (مر ٨: ١٧ و٢١) وصفة عدم الإيمان apistia (مر٤: ٤٠؛ ١٦: ١١ و١٤). وقد ارتبطت حيرة التلاميذ وعدم فهمهم بإنباءات الآلام الثلاثة، فوضعَ في إنجيله، بعد كل انباء وموقف عدم الفهم من قبلهم، تعليمًا خاصًا بهم من يسوع (مر ٨: ٣٣ – ٩: ١؛ ٩: ٣٥–٥٠؛ ١٠: ٣٨–٤٥)

إنّ موضوع "عمى قلب التلاميذ، قلّة ذكائهم، عدم فهمهم وعدم إيمانهم" يفرضُ موضوعًا لاهوتيًا آخر هو "لاهوت الوحي ولاهوت النعمة". يبيّن التلاميذُ، السائرون وراء يسوع على الطريق المؤدّي إلى الصليب والموت، عدمَ قدرة على فهم معنى سر الآلام والمدلولات الروحية المخفية للملكوت. فليس من الطبيعي أن يفهموا هذا الأمر لأن سرّ صليب يسوع هو فوق الطبيعة! طبيعيًا لا يستطيع أحدٌ ان يفهمه إلاّ إذا حصل على روح حكمة ووحي خاص ونعمة مميَّزة تفتح عيون قلبه. بالطبيعة، للتلاميذ قلبٌ قاسٍ وروح مُغلق؛ وبالنعمة، يستطيعون فهم السرّ[٢١].

هكذا كانت خبرة بطرس، وهذا هو طريق الإيمان الذي سار عليه بطرس من خلال مرقس، وهذا ما يدعو إليه مرقس كل قارئ: إتّباع بطرس والتلاميذ في الانتقال، بالنعمة، من عدم الإيمان وعدم فهم معنى الاضطهادات والمحن وصليب الحياة إلى الإيمان والفهم، من خلال سر الصليب الممجَّد.

خاتمة

بعد أن تعرّفنا إلى زمان ومكان كتابة إنجيل مرقس الذي كان زمان اضطهاد ومِحَن، وبعد أن شرحنا النصوص الثلاثة التي تتحدّث عن هذا الموضوع في الانجيل الثاني، وعالجنا انعكاساته على مجمل اللاهوت المرقسي، لا بدّ من كلمة تشجيع لقارئ اليوم: لستَ وحيدًا، أخي القارئ، في جهادك اليوميّ لعيش القداسة[٢٢]. كانت المسيحية وستظلّ علامة رجاء لكلّ الشعوب، من خلال عيشها لرسالة المحبة. إنّ الاضطهادات والمحن تضعنا في مواجهة مع العالم. لكننا نعتقد أنّ احترامنا وحبّنا عليه ان يمتدّ إلى كل الذين يفكّرون ويعملون بطريقة مغايرة لنا، إن في القضايا الاجتماعية وإن في القضايا السياسية والدينية. وبقدر ما نجتهد في تفهّم نظرياتهم تفهّمًا داخليًا مطبوعًا بالحب والتودد، يسهل حينئذٍ الحوار معهم.

لقد سار المسيح على درب الصليب وتحمّل الاضطهادات والآلام حبًّا بنا. فالمسيحي الحقيقي لا يخاف الأهوال والمِحن ولا حتى الموت، بل برجاءٍ وطيد وإيمانٍ كبير يجاهر مع بولس الرسول قائلاً: "من ذا الذي

---

[٢١] حول درب الصليب في انجيل مرقس الذي هو طريق يسوع وطريق التلاميذ رج:

MANICARDI, E., *Il cammino di Gesù nel vangelo di Marco: schema narrative e tema cristologico*. Biblical Institute Press, Roma 1981.

[٢٢] هذا ما قاله قداسة البابا فرنسيس حين كان كاردينالاً أثناء رياضة روحية قام بها لأساقفة اسبانيا سنة ٢٠٠٦:

« La vie du chrétien est une lutte permanente contre le pouvoir séduisant des idoles, contre Satan et ses entreprises visant à conduire l'homme à l'incrédulité, à la désespérance, et au suicide moral et physique » PAPE FRANÇOIS, BERGOGLIO, J.M., *Amour, service et humilité. Exercices spirituels donnés à ses frères évêques à la manière de Saint Ignace de Loyola*, Magnificat, Paris 2013, 79.

يفصلني عن حبّك؟ أشدّة أم ضيقٌ أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟...لا موت ولا حياة ... لا حاضر ولا مستقبل ... بوسعه أن يفصلنا عن محبة الله التي هي في المسيح يسوع ربنا" (روم ٨: ٣٥-٣٩).